الدولة البرتية

أو

الدولة الفارسية الثالثة

فى العراق

سنة ١٢٦ ق م - سنة ٢٢٦ بعد الميلاد

عندما ضعفت الدولة السلوقية اليونانية التى قامت على انقاض دولة الإسكندر الذى قرض الدولة الكيانية اغتنم البرتيون[١] فرصة ضعفها فنهض فيهم زعيمهم أرشك " إيشك : ارشاق " فأجتاح بقومه بلاد البرتيين سنة ٢٥٠ ق م وخرج على السلوقيين ثم أعلن استقلاله سنة ٢٤٨ ق م وأسس الدولة البرتية[٢]

---

(١) البرتيون هم سكان البلاد الجبلية التى فى شرقى بحر قزوين وجنوبيه . ولما كانت بلادهم قاحلة كانوا يعيشون عيشة بدوية متنقلين فى الجبال الواقعة بين هرقانيا ومرجيانا وكانوا قد خضعوا لحكومات مختلفة للأشوريين ثم للميديين ثم للفرس ثم لإسكندر الكبير ثم للسلوقيين ثم استقلوا وصارت لهم على توالى الأعوام دولة كبيرة وقد عرفهم العرب بالفرس بفتح الفاء تمييزاً لهم عن الفرس (بضم الفاء) الحقيقيين .

(٢) عرفت بهذا الأسم نسبة إلى أقليمهم الأول أو بلادهم الأصلية وهى برتية أعنى خراسان الحالية وعرفت أيضاً بالدولة الأرشكانية نسبة إلى زعيمهم ومؤسس دولتهم ارشك . يقول بعضهم أنه أسس هذه الدولة سنة ٢٥٥ ق م واستقل ببلاد فارس كلها فى السنة نفسها .

ومات فى السنة التى أعلن استقلاله فيها [١] وظل أعقابه يوسعون مملكتهم بما كانوا يفتحونه من بلاد الدولة السلوقية حتى أصبحت دولتهم واسعة الأطراف . ثم حملوا عـــلى العراق سنة ١٤٣ ق م وبعد حروب استمرت أعواماً بين الأمتين " البرتيون واليونان " وجلبت على هذا القطر الذى صار ميداناً لتلك الحروب حينذاك أنواع الـــنوائب ثم تم أمـــــــــر البرويتين فى العراق سنة ١٢٦ ق م فى عهد ملكهم مهرداد السادس (١٧٥ ق م – ١٢٦ ق م) [٢] وأتخذوا مدينة سلوقية التى بناها

---

(١) ولم يحكـــم غير سنة واحدة على ما رواه الثقات غير أن بعضهم يزعم أنه حكم خمسة عشر سنة وذكر آخرون أنه ملك أثنتين وعشرين سنة قضاها فى توسيع ملكه ثم مات قـــتيلاً فى إحـــدى المعـــارك ، وقد اختلفت الروايات فى نسبه وكيفية قيامه وتأسيس حكومته فمن قائل أنه من نسل دارا ومن قائل أنه من طبرستان وكان قائداً عاماً على بـــلخ من قبل السلوقيين فلما عزم على تأسيس حكومة وطنية فى طبرستان توجه إليها وجمـــع قومه وثار على الملك السلوقى أنتيوخوس فأرسل السلوقى لقتاله جيشاً ثم سار هو بنفسه وبعد معارك انتصر أرشك وتمزق الجيش السلوقى ووقع آنتيوخوس قتيلاً فى المعركة الأخيرة فلما رأى أمراء بلاد فارس انتصار أرشك انضموا إليه جميعهم بعد أن أشترطوا عليه أن يكون لكل واحد منهم أستقلالاً إدارياً فى منطقته ويكون هو الرئيس عـــلى الجميع وعلى أثر ذلك أتخذ أرشك مدينة الدامغان التى هى من مدن طبرستان عاصمة له . ومن قائل أنه هجم بقدومه على الوالى السلوقى أغا توكليس فقتله وتولى مكانـــه ســـنة ٢٥٠ ق م ثم حمل على هرقانيا وأستولى عليها وحاول الملك السلوقى انطيوخوس ناؤس اخضاعه واخماد تلك الثورة ففشل وعلى أثر ذلك سار أرشك بجيش كبير إلى قتال السلوقيين والبختريانيين فأنحاز إليه أهل بختريانة فأنتصر على السلوقيين وطردهم من بلاد فارس ومادى .

(٢) وزعـــم بعـــض المؤرخين أن الذى أخذ العراق من السلوقيين مهرداد الأول ، والرواية ضعيفة .

سلوقس الأول اليونانى على الضفة اليمنى من دجلة عاصمة لهم بعد أن فتكوا بأهلها لتحزبهم للسلوقيين ثم ابتنوا مدينة تجاه سلوقية على الضفة اليسرى من دجلة وسموها قطيسفون وجعلوها عاصمة لهم بدلاً من سلوقية فسمى العرب هذه المدينة طيسفون وسماها اليونان اكتسيفون .

شكل

حكومة البرتيين

كان نظام الدولة البرتية يختلف باختلاف الأقوام والأقاليم وكانت تنقسم إلى ممالك صغيرة أو مقاطعات مستقلة ولكل واحدة منها ملك يحكم عليها ويخضع للملك البرتى المقيم فى اكتسيفون فهى والحالة هذه أشبه بالولايات المتحدة . ومن تلك الممالك الصغيرة التى كانت فى العراق إمارة ميشان التى كانت فى موقع البصرة ، وإمارة حطارا التى كانت قرب تكريت وإمارة حديلى التى كانت أرض الموصل وما يجاورها أى بين الزابين وتمتد إلى الشرقات وإلى نصيبين وقاعدتها أربيل، وإمارة الحيرة المشهورة التى كانت فى موقع أبى صخير وهى حكومة عربية أسسها مالك بن فهم التنوخى سنة ١٣٨ م [١] .

---

(١) هو مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان من الأزد، أول ملك على العرب بأرض الحيرة، أصله من قحطان ، هاجر من اليمن بعد سيل العرم فى جماعة من قومه، فأنزل بالعراق وابتنى بستاناً فى موقع الحيرة وأمتدت أيدى رجاله بحكم تلك الأنحاء فلم يكن عليها سلطان وعاش فيها نحو عشرين سنة ، قتله سلمة بن مالك غيلة .

انظر المزيد فى : المختصر فى أخبار البشر ٦٩/١ ، مروج الذهب ١٨٢/٣، تاريخ اليعقوبى ١٦٩/١، نهاية الأرب ٣١٥/١٥، المعارف ٣٨١، جمهرة الأنساب ٣٥٨، السبائك ٧٥، العرب قبل الإسلام ١٧٣ .

العراق
في
عهد البرتيين

بعد أن تم أمر الدولة البرتية فى بلاد بابل أطلقوا لأهلها الحرية التامة فى كل شـــىء وأبقوا قوانين البلاد وشرائعها على ما كانت عليه قبلا ولم يتعرضوا بديانات أهـــل الـــبلاد ولابعاداتهم وعوائدهم ومنحوا لبعض المدن استقلالاً إدارياً ولبعضها أســـتقلالاً إداريـــاً وسياسياً . فكان فى عهدهم لكل مدينة استقلال بلدى وحق فى أنـــتخاب القضـــاة والمجلس الإدارى كما كان فى مدن الأقطار الأخرى التى تحت حكمهـــم إلا أنهـــم جعلوا على العراق حاكماً عاماً فارسياً يدير شؤون تلك المدن المهمـــة تحـــت إشـــراف الملك البرتى المقيم فى اكتسيفون وفرضوا على كل مدينة ضـــريبة ســـنوية تؤديها للحكومة وبذلك تمتع العراقيون فىأكثر عهد هذه الدولة بالحرية التامة وعمرت بلادهم وكثرت ثروتهم خصوصاً وإن البلاد كانت هادئة لم يحدث فيها حرب دينية أو فتن مذهبة إلا ما كان يحدث أحياناً بين أهل البلاد وبين اليهود من الفتن بسبب الاختلاف الدينى مما لا علاقة له برجال الدولة لأن البريتين لم يكـــن عـــندهم فـــرق بين دين وآخر ولا تعصب لدين من الأديان حتى دينهم الرزدشـــتى الذى كانوا عليه – وما كان يحدث بين هؤلاء الملوك وملوك سورية فى الحروب التى كاد يتطاير بعض شررها على أبناء الرافدين .

الحروب
بين البرتيين وملوك سورية

لما تم أمر البرتيين فى العراق وأسوأ دولة كبيرة تضم عدة أقاليم حاولوا التسلط على سورية كما حاول السلوقيون ملوك سورية الذين طردوا من العراق إرجاعه إليهم فسببت تلك المطامع حروباً دامت أعواماً طوالاً خسرت فيها الدولتان خسائر فادحة وأصيب بسببها أبناء الرافدين ببعض النوائب .

فلما انقضى عهد السلوقيين من سورية سنة ٦٤ ق م ، وقام فيها الرومانيون طمعوا فى العراق كما طمع البرتيون فى سورية فأمتدت من أجل ذلك بينهم الحروب وأكثرها كانت تقع فيما بين النهرين ولكنها كانت فى أول الأمر سجالاً بين الأمتين ثم صار النصر حليف الرومانيين [1] وحمل طريانوس الإمبراطور الرومانى سنة ١١٤ م بجيش كبير على البرتين فى أيام الملك خسرو الذى سماه بعضهم إرشاق الرابع والعشرين فانتصروا عليهم وتوغل الإمبراطور فى بلادهم حتى استولى على سواحل دجلة من جبال أرمينيا إلى خليج فارس سنة ١١٥ م واستولى على سواحل مدينة سلوقية واكتسيفون وغيرها من مدن العراق وزعزع أركان الدولة البرتية وكاد يقضى عليها إلا أن الملك البرتى خسرو تمكن أخيراً من

---

(١) بعد أن أفتتح الملك البرتى أرطبان الثالث أو أردوان الثالث أرمينيا وأخذها من الرومانيين فى عهد الإمبراطور طيرنوس .

جمـــع جيوشه المتفرقة وحمل على الرومانيين وأخرجهم من بلاده فعادوا بالفشل [١] ولم تمـــض أعوام قليلة حتى عادت الحرب بين الدولتين سنة ١٦٤ م فأنتصر الروم أيضـــاً وتوغـــلوا فى العـــراق وحاصروا عاصمة الملك اكتسيفون سنة ١٦٥ م ولم يـــرجعوا عنها حتى عقدا صلحاً يرضيهم فلما دخلت سنة ١٩٥ م عادت الحرب فأندحـــر البرتيون وتقدم الرومانيون وتوغلوا فى العراق وتمكنوا من الاستيلاء حرباً على اكتسيفون فنهبوها .

وظـــل البرتيون تارة ينتصرون على الروم وأخرى يندحرون أمامهم وآونة يعقدون الصلح معهم حتى انقضت أكثر مدتهم فى نزاع وحروب هذا عداً ما كان يحـــدث أحياناً من الفتن الداخلية التى كانت تقوم تارة بين الأسرة المالكة لتنازعهم على الملك وأخرى من الشعب فيختل النظام وتضطرب أمور المملكة ويؤدى ذلك إلى خلع الملك أو قتله . وأحياناً كان الرومانيون يتدخلون فى شؤون الدولة بسبب تلك الفتن المتوالية حتى تحكم الضعف فيها وأختل نظامها وأخذت تنحط عاماً فعاماً وزالـــت هيبـــتها وطمع بها أعدائها وكان آخر ملوكها أردوان الرابع (٢١٦ م – ٢٢٦ م [٢] .

---

(١) ويروى أن الإمبراطور الرومانى طريانوس أنزل الملك خسرو من عرش الملك وأجلس مكانه يرثاتباط عندما استولى على اكتسيفون وتصرف هذا القيصر بأمور الدولة البرتية كيف شاء ثم عاد إلى مقره سنة ١١٧ م ويروى أن القيصر الرومانى ثرايان حمل على البرتين حتى دخل العراق واستولى على اكتسيفون وخلع الملك فيروز وولى مكانه رجلاً من أفراد الأسرة المالكة وعاد إلى مقره فلما مات القيصر الرومانى هذا عاد فيروز إلى العرش ثم تولى خسرو فأنزله من العرش القيصر طريانوس .

(٢) وفى رواية أنه جلس على العرش سنة ٢٠٨ م .

انقراض الدولة البرتية

جلس أردوان الرابع على العرش فى الوقت الذى كانت فيه الدولة البرتية قـد انهكتها الحروب الخارجية (التى تقدم ذكرها) والفتن الداخلية التى بدأت منذ سنة ١٩٧ م تارة بين الاسرة وتارة يثيرها الشعب على ملوكه لضعف الدولة حتى طمع بها أعداؤها فزادت فى عهده الفتن والأضطرابات وكثرت المشاغب فى الاسرة المالكة فأغتنم الرومانيون فرصة تلك الأضطرابات المتوالية التى انهكت الدولة وحمل الإمبراطور الرومانى قراقلا على ما بين النهرين سنة ٢١٦ ثم عقد خلفه مرقيانوس فى سـنة ٢١٧ م صـالحاً مع أردوان هذا ولكن الدولة البرتية لم تكد تستريح من الحـروب الخارجيـة حتى ثار الفرس سنة ٢٢٤ م بزعامة أردشير بن بابك من آل ساسـان [1] الذى عزم على تأسيس دولته ونهض بقومه من الهضاب التى فى غربى إيـران فأخضع فى مدة قصيرة جميع بلاد فارس. وتبعه خلق كثير من الفرس الميدين ثم حـالف جماعة كبيرة من الملوك والأمراء الذين تحت سلطة البرتيين فأنحاوزا إليه وعزم على محو تلك الدولة التى حكمتهم مدة خمسة أجيال فهم أروان الرابع بإخماد تـلك الـثورة بادئ بدء فخابت مساعيه بعد عدة معارك دارت رحاها بينه وبين أردشـير فاندحرت جيوشه وأعلن أردشير ملوكيته المستقلة فى باختترا وسمى نفسه مـلكاً. وبعد حروب دامت نحو سنتين انتصر أردشير انتصاراً باهراً ومزق جيوش الدولـة البرتية وأفتتح العراق وغيره من الأقطار التى تحت حكمهم ودخل عاصمة

---

(١) قيل أنه كان من كبار القواد فى تلك الدولة .

الملك اكتسيفون سنة ٢٢٦ م واستولى على جميع ما كان لتلك الدولة من المستملكات والبلاد والأموال. وانهزم الملك البرتى أردوان الرابع إلى جبال أرمينيا (وقيل قتل فى المعركة الأخيرة) [١] فانقرضت دولة البرتيين التى أسسها أرشك بعد ان دامت ٤٧٤ سنة (٢٤٨ قبل الميلاد ٢٢٦ بعد الميلاد) وضمت مدن إيران الحديثة وأكثر بلاد الأفغان وقسماً كبيراً من تركية آسيا وأقاليم متسعة من املاك روسية الحالية والعراق وبلاد أشور وبلاد مادى التى فى ضمنها كردستان. وملكت فى بعض الأحيان بلاد ما بين النهرين (الجزيرة) لأنها كانت تارة تكون للروم وتارة لهم . ولكنها لم تحكم العراق إلا نحو ٣٥٢ سنة (١٢٦ ق م – ٢٢٦ م) وعدد ملوكهم الذين حكموا العراق ٢٠ ملكاً أولهم مهرداد السادس وآخرهم أردوان الرابع [٢] وقد وجد الباحثون من النقابين فى مدينة لاكاش "لجش " قصراً من بناء هؤلاء الملوك قد شيدوه فوق هيكل انينو الذى كان مرصوداً لاله المدينة [٣] .

---

(١) ويروى أن هذه الدولة بقيت مدة فى أرمينيا بعد ذلك . وقيل ظهر لها فرع فى الجزيرة دام ٢١٠ سنوات (٢١٨م – ٤٢٨م) قرضها الساسانيون أيضاً فى عهد الملك شابور الأول .

وقيل أن أردوان الرابع هذا كان له أخ أسمه أشك فلما تغلب الساسانيون على مملكة أردوان ذهب أشك إلى جهة الجزيرة وأسس دولة جديدة فيها سنة ٢١٨ م .

(٢) ويروى أن آخرهم أردوان الخامس ولكنه خطأ .

(٣) ووجد بعض الأعراب النازلين قرب حصية – موقع بين بغداد والمسيب – قطعة من تابوت برتى فأشتراها منه أحد الأوربيين فى سنة ١٩٢٣ م ومن الأنهر التى حفرها البرتيون نهر الملك الذى احتفره أردوان الرابع .

تتمة

لما تقدم

لقد اختلفت أقوال المؤرخين فى مدة هذه الدولة وعدد ملوكها منذ نشأت حتى انقراضها. فمن قائل أن مدتها كانت ٣٩٧ سنة ومن قائل أنها عاشت ٤٨١ سنة ومن قائل أنها دامت ٤٧٤ سنة ، ويزعم بعضهم أن عدد ملوكها ٣١ ملكاً ويقول آخرون (٣٠) ملكاً وان الذين حكموا العراق منهم عشرون ملكاً أولهم مهر داد السادس وآخرهم أردوان الرابع ، ويروى البعض ان عددهم ١٩ ملكاً. وكذلك جائت أسماء هؤلاء الملوك مختلفة جداً فمنهم من يسمى أردوان باسم أرطبان ومنهم من يذكر اولغاش بدلاً من أردوان ومنهم من لم يذكر اسم أحد من هؤلاء الملوك إلا فى سياق ذكر حادثة حربية أو فتنة داخلية. وبينما نرى تواريخ الرومانيين تذكر أربعة ملوك سموا باسم أردوان نرى تواريخ الفرس لا تذكر غير ملكين سميا بهذا الاسم وترى من جهة أخرى أن بعضهم بلقب كل ملك يلقب أرشاق ويقول أن أولهم أرشاق الأول وآخرهم أرشاق الواحد والثلاثون [1].

---

(١) وعلى هذا فأنهم كانوا يلقبون بهذا اللقب كما لقبوا ملوك الروم بالقياصرة وكما كان الساسانيون يلقبون بالأكاسرة وان كلمة أرشاق كانت تضاف إلى اسم الملك كما كانت كلمة قيصر تضاف إلى اسم ملك الروم وكلمة كسرى تضاف إلى اسم الملك الساسانى .

وروى بعـــض المؤرخين أن الذى تولى بعد أرشك الأول أشكان الأول ثم أشكان الثانى ثم شابور ثم بهرام ثم بلاش ثم هرمز ثم نرسى ثم فيروز ثم بلاش الثانى ثم خسروا ثم بلاش الثالث ثم كودرز ثم ترسى الثانى كودرز الثانى ثم اردوان الثانى وبه انقرضت هذه الدولة .

ويقول آخران الذى تولى الأمر بعد أرشك أخوه تيرداد ثم أردوان الأول ثم افراســياب ثم فرهاد ثم مهرداد الأول الذى قاتل السلوقيين وأخذ منهم بلاد مادى وبــلاد آشور وبلاد بابل واسر الملك السلوقى ده مترثيوس فى الحادثة التى وقعت على ساحل الفرات بعد حروب هائلة . ويروى لنا غيره أن أولهم أرشاق أو أرشك ثم ثيردات الأول ثم أرشاق الثانى ثم أبراهاباط ثم أبراهاط الأول ثم ميثريدات الأول ثم ابراهاط الثانى ثم أرطبان الأول ثم ميثريدات الثانى ثم أرطبان الثانى ثم سناطروق ثم أبراهاط الثالث ثم ميثريدات الثالث ثم ورود ثم أبراهاط الرابع ثم أبراهاطاس ثم أورود الــثانى ثم أونــون ثم أرطــبان الثالث ثم تيردات الثانى ثم وردان ثم كوتارز (وكورتارســن) ثم أوجودرز ثم اولفاش الأول ثم باقور ثم خوسرو ثم برثاتسباط ثم اولغاش الثانى ثم اولغاش الثالث ثم اولغاش الرابع ثم أرطبان الرابع . وذكر بعضهم أن الــذى جلس على العرش بعد ارشك هو تيراد ثم أردوان الأول ثم أفراسياب ثم فــرهاد الأول ثم مهرداد الأول ثم فرهاد الثانى ثم هرمز ثم فرهاد الرابع (ولم يذكر الثالث) ثم فيروز ثم خسرو ثم بلاش الثالث (ولم يذكر بلاش الأول ولا الثانى) ثم أردوان الخامس (ولم يذكر غير الأول قبل هذا) وبه انقرضت هذه الدولة .

وخلاصــة القول أن المؤرخين لم يتمكنوا من ضبط أسماء ملوك هذه الدولة بصــورة صــحيحة ولم يتوفقوا إلى معرفة تاريخها بالضبط ولذلك تناقضت أقوالهم واختــلفت أخــبارهم خصوصاً وأن هذه الدولة لم تترك آثاراً تاريخية حتى يتوصل

الباحـــثون إلى مـــا يحتاجه التاريخ. ومع ذلك فأننا قدمنا فى أبحاثنا ما هو الأرجح وذكرنا فى هذا البحث ما وصلنا عن المؤرخين ولا بد من يوم نقف فيه على ضالتنا بواسطة ما يستخرجه النقابون من أطلال المدن القديمة ولا سيما إذا حفروا أطلال اكتسيفون التى كانت عاصمة هذه الدولة [١].

(١) اكتســـيفون او اكـــتزيفون يقال أن البرتيين سموها تيسفون فسماها العرب طيسفون وطسفونج وموقعها على ضفة دجلة الشرقية فى جنوب بغداد بناها البرتيون وأتخذوها عاصمة بعد سلوقية فنالت فى أيامهم من العز والحياة والثروة ما لم تبلغه مدينة فى ذلك العهـــد وكثرت فيها المعاقل والحصون وتعددت فيها الهياكل والمبانى العظيمة والقصور وكـــان لها سور حصين وبقى البرتيون الواحد بعد الآخر يزيد فيها من المبانى الفخمة والقصور العظيمة والهياكل الشامخة حتى صارت من أعظم مدن العراق ولكنها نكبت مراراً على يد الروم وأول من زحف منهم عليها ثريانوس قيصر وتمكن من فتحها عنوة سنة ١١٥ م واستباحها بالقتل والنهب والأسر ثم حمل عليها فيروس الرومانى بعد ان فـــتح ســـلوقية عـــنوة فأفتتحها ومحى ما بقى من آثارها ثم أعاد بناء سورها البرتيون وأكثروا فيها من الحصون والمعاقل وأسباب القوة فلم يتمكن الروم من الاستيلاء عليها بعد ذلك . وكان محيط هذه المدينة ميلين .

obeikandl.com